قراءة في تجربة الشاعر الكردي فريد زامدار

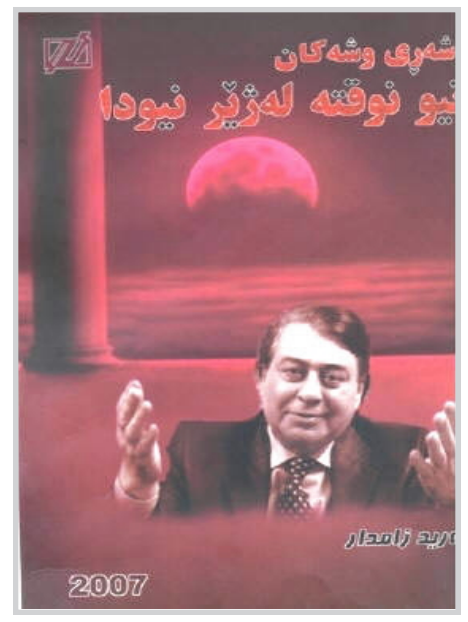

لقمان محمود

قصيدة فريد زامدار، تعتمد على مفاهيم معرفية متعددة، فتارة تُكتب بوعي سريالي، و تارة تكتب بوعي فلسفي، و هذه خاصية تمتاز بها تجربة هذا الشاعر المتمرد، الذي يسعى جاهداً إلى خلخلة ذهنية القارئ.
و المتابع للمشهد الشعري الكردي، سيلاحظ أن فريد زامدار قد أخذ إستقلاله التجريبي الكامل، وفق معايير الحداثة المتمردة، التي حددت مساحة التوتر في أرض الإبداع، و هي الفجوة التي ينبثق منها إنحراف الدلالات و ترتيبها حسب لحظة التواصل بالعالم، لذلك فالبحث عن عامل مشترك عام لقصيدته يؤدي دائما إلى طريقين، الأول يكمل الآخر، بما تتركه القصيدة من جمالية جديدة للفانتازيا الواعية بسيرة الخلق الجمالي للصورة الشعرية، كما في قصيدته الطويلة " الحصان و الرعب" :

لم يقدروا
أن يعرفوا مغزى أغنيات البنادق
كالغزلان
المقابرالقمرية
في أراضي أجنحة العصافير.
يكمن خلف الصور المستخدمة، على المستويين الصوتي و الدلالي، تصاعد فعلي لحركة التحولات، التي تُقرأ عن طريق الفلسفة تارة، و عن طريق الفانتازيا تارة أخرى، من خلال رمز متداخل و متوالد، وذي موقع متغير باستمرار. و كأن القصيدة محاولة لإستعادة الإحتجاج الوجودي للتضاد اللغوي، الذي يتبادل على ثلاثة محاور: محور طبيعي، و محور شعري، و محور فانتازي. و هذه المحاور الثلاثة تحدد قدرة الشاعر على التغيير في طاقة اللغة:

الوقت يسير ببطء
متناسياً سرعة جروح الإحساس
نفسي الساقطة في جوف مدخنة
ترى مصباحا عملاقا
لا تطفئه الأمطار الكتابية.

غاية فريد زامدار، خلق إيحاء لا متناهٍ، باستغلال طاقة اللاوعي، لتركيب وعي جديد، يمثل المفارقة شاعرية زامدار، كوسيلة للإنفتاح على مرحلة شعرية تثير ذاكرة الفعل التجريبي، الذي هو فعل شعري متوارٍ تحت تراكمات الحقيقة المكبوتة، بالإعتماد على هدم الشعر السائد، لبناء قصيدة مواجهة للشعرية و للمعرفة:

الحارس النرجسي
لا يتقن الغموض
و لا يصيح الصيحات الخالية
نحو العدم
له نظرة خرساء
فهو غير مؤهل لحراسة
و يجعلوا الرصاصات دمية الأطفال.
ينامون مع صورة سلام راقد
و جحيم يؤسر
داخل عيونهم.

ما أحوج هذا العالم- في هذه الفترة الحرجة- إلى الحقيقة، و إلى العدالة، وإلى الفانتازيا. عالم بات فيه الإنسان يعيش شبه ميت، و يموت و هو شبه حي. و ما أحوجنا نحن الأكراد، إلى شاعر متمرد، ما زال يضع " نصف نقطة تحت النصف"، كمفارقة للمنحى الفلسفي، الذي يمارس به الوعي الإنساني رؤيته للعالم المنهار. كل هذا من خلال " فراغ في العقل الإملائي"، الذي يترك خلفه جدلية الصيرورة الحياتية، تعيش خارج غريزة الإنسان الأساسية، و المتمثلة منذ الأزل، في الحرية:

منذ أمدٍ
و الأقوامُ التي لم ترسل إليهم نبي
عزلوا عن جذور الأشجار
عاشوا بلا غزالٍ... و عاشوا
لم تبدلهم آلهة الحياة بالحياة
لم تقتلهم آلهة الموت بالأمانة
لا يحق لأحد الإنتحار
لأن الموت أيضا
يمنع غريزة الحرية.

❖المصادر:
١- فريد زامدار، فراغ في العقل الإملائي، عام ,٢٠٠٧
٢- فريد زامدار، نصف نقطة تحت النصف، عام ,٢٠٠٧
٣- فريد زامدار، الحصان و الرعب، ترجمة: شاهو سعيد

المكتبة حين تتهدم

عبد الخالق كيطان
شاعر مقيم في أستراليا

هذه ليست المرة الأولى التي أكتب فيها عن مكتبة المهاجر.. ولكنها المرة الأولى التي أكتب فيها عن مكتبتي الشخصية.. تلك المكتبة التي تهدمت مرات كثيرة، وفي كل مرة أهدمها بيدي أشعر بأن شيئاً في داخلي يتهدم.. ليست هذه جملة رومانسية بأية حال، ولكنها بمثابة عزاء..

بعد غياب سنوات طويلة عن بيتنا في مدينة العمارة كان عليّ أن أجد حلاً لمئات الكتب التي جمعتها في تواريخ مختلفة قبل العام ١٩٩٨.. بيتنا قديم لا يستوعب تلك الكتب، فكان القرار أن أتخلص (أتخلص، هل انتبهت؟) من حوالي ثلاثة أرباع المكتبة وأحتفظ بالقليل النادر والمهم، ربما للذكرى!!.. كان الموضوع الشائك يتعلق بالطريقة التي علي اتباعها للتخلص من كتبي، ولم أجد غير منح تلك الكتب لجهة ، أو جهات مختلفة .. لم يستغرق الأمر طويلاً، اخترت مجموعة من أصدقائي الخلص، ومكتبة أو مكتبتين عامتين.. بعد الانتهاء من ذلك حصلت على شكر كثير وحزن شخصي أكثر..

قبل خروجي من العراق كان علي أن أفعل الشيء ذاته.. وبعد خروجي من العاصمة الأردنية عمان جهة القارة الأسترالية وزعت كتبي بطريقة أخرى، ولكنها لم تخرج من دائرة الأصدقاء بالاضافة إلى حوالي أربعة (كراتين) شحنتها إلى مستقري الجديد..

اليوم، وفي عاصمة الجنوب الأسترالي حيث أقيم منذ سنوات بدأت تتوسع في صالة الاستقبال مكتبة لا بأس بها.. وبين حين وآخر يتبادر سؤال مفاده: إلى من سوف أترك هذه المكتبة؟ فنقلها يكلف ما لا طاقة لي به..

كثير من الأدباء الذين أعرف كانوا استعاضوا عن المكتبات الشخصية بحيل مبتكرة، من ذلك مثلاً أن تقوم بمنح الكتاب الذي بحوزتك حال فراغك من قراءته لشخص ثان.. حتى تلك الكتب المهداة لك، تخلص منها فور انتهائك منها... آخرون فضلوا المكتبات الألكترونية، حيث يقومون بالاحتفاظ بعشرات، مئات الكتب على سطوح كومبيوتراتهم، وهنا تصبح عملية نقل الكتاب سهلة للغاية ولا تكلف شيئاً.. من يدمن عادة اقتناء الكتب سوف تكون معاناته خارج الوصف..

مكتبة المهاجر إشكال تاريخي لا يوجد له حل.. أعرف كثيرين تخلوا عن مكتباتهم الشخصية في بلاد الغربة لصالح أشخاص بعينهم أو مؤسسات ثقافية أو مكتبات عامة وكان هذا هو الحل الوحيد المتاح لهم.. ولكنه حل جيد إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن تلك الكتب ستجد لها قراء جدداً ...

هذه المكتبة التي أواجهها كل يوم في صالة منزلي أتعبتني كثيراً.. نصفها جلبته معي من عمان كما أسلفت.. بعضها تحملت من أجله الكثير من المصاريف.. كتب أخرى جلبها لي أصدقاء وصلوا أستراليا بعدي.. مجموعة من الكتب حصلت عليها بطرق شخصية عن طريق البريد العادي مع الأردن والكويت ومصر والعديد من البلاد الأوربية.. وكل كتاب يحمل قصته... أما قصة آخر مجموعة جلبتها معي من العراق فكانت لا تخلو من عبث وأحلام أيضاً..

كنت أفكر دائماً بالأكاديميين الذين حياتهم في المكتبات.. ماذا لو هاجروا؟ بالطبع في رأسي تدور بعض الأسماء التي تحملت مشقات ومشقات من أجل أن تنتقل مكتباتهم معهم أينما حلوا وارتحلوا.. كما يخطر على بالي مثقفون أعرف ولعهم بالكتاب.. هذا علي حسين مثلاً، كتبي قديم، حياته في الكتب.. ماذا لو قرر الانتقال من المكان الذي هو فيه الآن إلى مكان آخر؟ كم يلزمه لنقل مكتبته؟ مكتبة المثقف وطنه... والمثقف بلا مكتبة بلا وطن... فكيف تريدني أن أتخلى عن مكتبتي حال انتقالي من هذا المكان الذي أنا فيه؟ من المؤكد أنني سأباشر حال وصولي مكاني الجديد بتأسيس مكتبة جديدة... أما الكتب التي تركتها وراء ظهري فعلي أن أتعامل معها بالقسوة ذاتها التي أتعامل فيها مع الكثير من الأشياء الرائعة والجميلة التي كان عليّ أن أتركها ورائي، مضطراً طبعاً!.

نكتب عما نعرف لنعرف كيف نكتب

جمال ناجي

حين ينبعث الكلام الابداعي من عمق الادراكات والقيم الانسانية المترفعة عن كل "الموجودات غير الانسانية"، فإن هذه الموجودات تمارس فضيلة الصمت!
هل يعني هذا ان الاشياء لا تمتلك قيمها وقدراتها الخاصة؟ ومن هو البالغ العاقل الذي يستطيع المجازفة والتأكيد على اننا نحن فقط، الطرف الوحيد الفاعل والمحرك في لبس العلاقة بيننا: نحن والموجودات الاخرى؟ الا تملك الاشياء قدرة التأثير فينا وتحريكنا وإسعادنا واقصائنا عن هذا العالم الذي تمتلكه هي أكثر منا!
ندعي امتلاكنا أشياء كثيرة كالبنايات والأراضي والسيارات والمزارع .. ، لكن هذا الإدعاء سرعان ما يتبدد ، فيما تظل تلك الممتلكات .
في روايته العظيمة " طيور الشوك " يذكر الأمريكي ماك كولين على لسان إحدى شخصياته أثناء تأملها الأراضي الشاسعة التي تمتلكها " ما أغرب الناس ، أجيال كثيرة تعاقبت على هذه الأرض ، وكلهم ادعوا ملكيتها ثم ذهبوا ، وبقيت الأرض ". كأنما أراد أن يقول بأن الأرض هي التي تملكنا لا العكس.
"اكتب عن الاشياء التي تعرفها فقط". تلك هي نصيحة الشاعر الناقد "شروود اندرسون" للروائي "وليم فولكنر" بعد ان تأكد للأخير ان روايتيه المتواضعتين "اجر الجنود" و "البعوض" لم تمنحاه لقب الروائي!
لكن فولكنر لم ينس ما قاله ذلك الناقد ، بل تبنى كلماته وسار على هديها، فاكتشف الأبعاد الاكثر عمقا للاشياء.
روايات فولكنر ليست "روايات أشياء"، ولا هو من متشيئي عصرنا، لكن اهم رواياته-الصخب والعنف- مبنية على معرفته الدقيقة الحميمة للاشياء ، واحترامه لها.
والمعرفة لا تتلبث عند حدود الاطلال المترف على الاشياء، انما تجتاز هذه الحدود، لتقيم العلاقات معها: تحترمها فتطمئن اليها! وكلنا يعرف، ان البحر مثلا، لا يمنحك متعة السباحة الا بعد ان تثق به وتطمئن اليه، وتتحرك بيسر وجذل في مياهه: للأشياء منطقها الخاص رغم انها غير انسانية.
(لو دمرت دبلن او غرقت في البحر، لأمكن بناؤها من جديد، واعادتها الى سابق عهدها، عن طريق العودة إلى قراءة رواية "عوليس" لجيمس جويس.)
هكذا قال النقاد والقراء معا، بعد ان اكتشفوا أسرار عظمة تلك الرواية .
أكان من الممكن ان يكتب جويس روايته هذه، لو لم يحاور ارصفة مدينة دبلن، وازقتها، وحوانيتها، وصدأ الابواب في منازلها؟
الاشياء التي نعرفها فقط، هي الاشياء التي يمكننا الكتابة عنها وفيها، وهي ذاتها، الاشياء التي نقيم معها علاقات من نوع ما، فنأنس لوجودها، تأنس لنا، فتمنحنا اسرارها العميقة ودفائنها!
نحن لسنا الطرف الوحيد الفاعل في سر العلاقة بيننا: نحن والموجودات الأخرى! لسنا الذين نألف وحسب، انما هي ايضا تألفنا إثر شوط طويل من الاعتراف، والثقة المتبادلة والا: كيف ينفتح "منزل كومبسون" المتعفن، بتفاصيله البائدة، على كاتب مثل فولكنر؟ كيف يمنحه خفاياه التي اعانته على بناء عوالم المكان والانسان في اهم رواياته ؟
أكان ممكنا ان يتغلغل في الاشياء لو انه لم يقترب منها، ويمنحها الأمان الذي مكنه من ان يلمس بأصابعه جوهر وجودها؟
في التحليل النفسي ودراسات اللاوعي، ان العقل الباطن، الذي لم يدرك النفسانيون - حتى اللحظة- اسراره وماهيته، هذا "العقل" لا يستجيب لأوامر الانسان وتعليماته الا اذا وثق به: اذا وثق بصاحبه! وبشكل أوضح ، اذا تحقق من ان الانسان لم يستغفله، ولم يستخف بقدراته.
لايمكن –حسب مدرسة التحليل النفسي- ترويض العقل الباطن الا عبر شروط من الثقة المتبادلة بين كيانين مستقلين: العقل الظاهر، والعقل الباطن!
هذا، كله، فإنه ما زال بين كتابنا ، من يكتبون عن "أشياء لا يعرفونها" وعن صراعات لم يعيشوها ولم يشاهدوها ولم يقرأوا عنها ، وعن "أراض" وسهوب وحوار لم تطأها أقدامهم، ولم تشاهدها أعينهم ...
شخصيا ، أنا أثق بالأشياء أكثر من الناس ، فهي منزهة عن النيات والأهواء ، لا تعرف الخداع والخيانة، وهذه ميزة لا تمتلكها الكائنات التي تدب على الارض باستعلاء. ولو قال لي أحدهم وأنا أقود سيارتي، أن الشاحنة التي تسير خلفي قد احترقت ، فقد أصدقه وقد أسخر منه ، لكن لو اخبرتني مرآة سيارتي بذلك فسأصدقها بالتأكيد ، فهي تحظى بثقتي أكثر من ذلك الـ " أحدهم " أيا كان .

رسالة باريس الثقافية

باريس تستعيد ذكرى غويا

د. مهدي صالح حمادي
باريس

يقام حاليا في متحف (بتي باليه) في باريس وحتى ٨ حزيران معرض مهم عن الرسام الاسباني الشهير فرانسيسكو دي غويا (١٧٤٦-١٨٢٨) تعرض فيه ٢١٠ لوحات تحكي قساوة العالم المطرزة بالحنان والسخرية في بعض الاحيان. ويقف الزائر مسحوراً ومندهشاً أمام هذه اللوحات الرائعة ويتساءل عن قوة الكيمياء السرية التي ربطت بين غويا وفن الرسم. وقد تم جمع هذا العدد الكبير من اللوحات من مجموعتين تم اهداؤهما الى مدينة باريس عام ١٩٠٢ من قبل الاخوين دو توي ومصمم الازياء الفرنسي جاك دوسيه. لقد ولد هذا الفنان لغارسيا لوسينتس وخوزيه دي غويا الذي كان يقوم بترميم وتذهيب اللوحات الكبيرة الموجودة في الكنائس الكاثوليكية في اسبانيا.

لقد تتلمذ غويا على يد الرسام الاسباني خوزيه لوزان في مدينة ساراغوس علماً بانه عاش فترة طويلة في العاصمة مدريد وفشل عدة مرات في امتحان القبول في اكاديمية سان فرناندو التي تأسست عام ١٧٥٢، وامام خيبة الأمل هذه انتقل الى ايطاليا وعاش في روما وبارم وفشل كذلك في امتحان القبول في اكاديمية الفنون. ثم عاد بعدها الى مدينة ساراغوس وعمل كوالده في تزيين سقوف الكنائس ويستطيع الزائر ان يرى بعض الصور من عمله هذا. وفي تموز ١٧٧٣ تزوج جوزفين بايو اخت الرسام فرانسسكو بايو وانجب منها عدة اطفال توفوا بعد ولادتهم بفترة قصيرة ما عدا الطفل الثاني.

وعاش الزوجان بعدها في مدريد واكتسب غويا شهرة كبيرة من خلال رسمه لوحات على شكل سجادات استعملت لتزيين قاعات الطعام في قصور الامراء والملوك ويمكن للزائر مشاهدتها داخل المعرض. وهكذا دخل غويا في خدمة العائلة الملكية وانضم الى الاوساط الثقافية وبدأت شهرته تزداد بعد ان رسم بورتريه للكونت فلوزيدا بلاذما. وعمل عام ١٧٨٣ في خدمة دون لوي شقيق الملك ورسم له عدة بورتريهات وهي معروضة في المعرض ويمكن ان ترى بانه استلهمها من الرسام الهولندي الشهير رمبرانت (١٦٠٦-١٦٦٩). ويتمكن الزائر كذلك من مشاهدة لوحات تمثل العائلة الملكية وصالات الطعام وغرف النوم اذ انه اصبح

رساماً لملك اسبانيا من ١٧٨٦ الى ١٨٠٨, هذا وان اهم لوحاته تسمى النزوات والتي منعتها السلطات الاسبانية في تلك الفترة لانه عبر من خلالها عن اشمئزازه من المجتمع الاسباني الذي كان راضيا بالسلطة المطلقة التي كانت تمارسها الكنيسة الكاثوليكية. وتمثل لوحته الموسومة مصائب الحرب عن رفضه الفرنسيين بعد قيامهم بغزو اسبانيا عام ١٨٠٨ علما بانه كان من اشد المتحمسين للافكار التحررية التي جاءت بها الثورة الفرنسية. وعندما ترى بورتريه ولنكتون الذي حرر مدريد من قبضة الفرنسيين تفهم بوضوح انه كان رافضا الاحتلال ومتمسكا بهويته الاسبانية. وتجسد لوحتا دوس ومايا اللتان رسمهما عام ١٨١٤، تصريحه الشهير الذي ذكر فيه (بامكان ريشة الرسام ان تعبر عن المقاومة البطولية لشعبنا ضد الاحتلال).

وبعد رجوع فرناند السابع من منفاه الى اسبانيا اخذ بمحاربة الملكية الدستورية التي كان غويا احد انصارها. لذا قرر الرسام الكبير مغادرة اسبانيا في ٢٤ حزيران ١٨٢٤ واقام في مدينة بوردو الفرنسية وتوفي فيها في ١٦ نيسان ١٨٢٨ عن عمر يناهز ٨٢ عاماً.